حكم التصدق

على غير المسلمين أهل الأديان

إعـــداد

شاه جيهان نقاب أمير الدين الهاشمي

عضو لجنة الإفتاء

بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

بحثٌ مقدَّمٌ إلى

« مؤتمر العمل الخيري الخليجي الثالث »

دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي

٢٠ – ٢٢ يناير ٢٠٠٨ م

هذا البحث يعبّر عن رأي الباحث
ولا يعبّر بالضرورة عن رأي دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الخلق ورزقهم فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها.

والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين ، رحمة للعالمين ، المحسن للإنسانية والبشرية جمعاء وعلى آله وأصحابه الفضلاء والرحماء وبعد :

فهذه عجالة نافعة موجزة في « التصدق على غير المسلمين أهل الأديان كلها » عسى الله أن ينفعني بها والمسلمين جميعاً .

فإن المؤتمر الخيري الخليجي الثالث الذي سينعقد في يناير ٢٠٠٨م في دبي لؤلؤة الخليج مهد الأمن وعاصمة الثقافة، عرض عدة محاور مقترحة للبحث وكان من ضمنها التصدق على غير المسلمين، فاخترت هذا الموضوع لأهميته في عصرنا لا سيما بعد ما دارت أرحاء المحن والفتن على البشرية جمعاء وعلى العالم الإسلامي خاصة .

فإنه وجد نفسه ... محصوراً في هذا الكون الواسع الشاسع حتى ضاق عليه بما رحب غريباً في هذا العالم العريض عالم الإنسانية ينظر إليه نظرة شزر كأنه ليس من جنسهم مع أنه قائد العالم قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [1] . وكأن الزمان يختبرنا جرد سيف العدوان على العالم الإسلامي ولكنه بسبب نشأته وتربيته وتعلمه في كنف الإسلام وتثقفه بثقافة الإسلام وتخلقه بأخلاق نبيه نبي الرحمة رحمة للعالمين واستنانه بسنن نبيه العطرة المطهرة صلى الله عليه وسلم منذ فتح كريمتيه ونعومة أظفاره أثبت جدارته وصموده وتظاهر بصبره وحلمه وعلو همته في الظروف الراهنة حاكياً عن نفسه يقول تارة:

فصرت إذا أصابتني سهام   تكسرت النصال على النصال

(١) الأنبياء : ١٠٥.

وتـارة: ﴿ وَمَـا كَانَ قَوْلَهُـمْ إِلَّا أَنْ قَالُـوا رَبَّنَـا اغْفِـرْ لَنَـا ذُنُوبَنَـا وَإِسْرَافَنَـا فِي أَمْرِنَـا وَثَبِّـتْ أَقْدَامَنَا ﴾ (١). وتارة أخرى يقول في طياته: عسـى الأيام أن يرجعن ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّـاسِ ﴾ فإن الدنيا سـجال والأيام دويلات والفجر الصادق قادم بتباشـيره ونسـماته فإن نبي الإسـلام خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم نصر بالصبا والرعب مسيرة شهر والأمة المسلمة قد سرت إليها هذه الصفة الفريدة من نبيها صلى الله عليه وسلم .

هـذا : واليـوم أصبح العـالم كله قرية واحدة بفضـل التقدم العلمي تلتقـي فيها حضارات متنوعة وفرق مختلفة وأديان متخالفة ومشـارب متناقضة ويوجـد فيها محتاج ملهوف، معدوم، أرملـة، يتيم، وقلب الإنسـان عامة والمسـلم خاصة يحمل قلبـاً رحيماً رقيقاً بفضـل تعاليم ديننا الحنيف دين الإسـلام دين الرحمة العامة والهداية الشـاملة فيتساءل هل نساعد غير المسلمين مع الظلم الواقع والعدوان الجارف من بعض غير المسلمين على المسلمين ، فأوضحت هذه المسألة بتوفيق من الله في ضوء الآيات والآثار وأقوال الفقهاء على وجه الاختصار . ويتبين لكل قارئ منصف مسـلم وغير مسـلم أن الإسـلام لحمته عدل، وسـداه رحمـة ونبيه رحمـة للعالمين ، وأن الإسـلام أمر بالرحمة العامة والشفقة الشـاملة لجميع الخلق ، وانظر أيها القارئ إلى هذا المرسوم الصـادر مـن مشـكاة النبوة : « الرَّاحِمُـونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَـنُ، ارْحَمُوا أَهْـلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » (٢).

فنحـن الأمة المسـلمة أمة راحمة مرحومة وجسـد واحـد ودولة الإمـارات العربية المتحدة جزء حسـاس مهم، كبير معنىً، عظيم مبنىً وهمة، ثقيل وزناً ورسـوخاً كجبل راسـخ شـامخ، خفيف قياماً لحمل الأعباء فهو نشيط بكل المعايير وخاصة إمارة دبي .

أتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

(١) آل عمران (١٤٧).

(٢) المشكاة ٤/ ٧٠٢ : الترمذي وقال : حسن صحيح . ورواه أبو داود .

فإنها سباقة في ميادين الخير والتعاون (بل شعب الإمارات فارس الميدان وحده) فتراها مصداقاً واقعياً وصورة حية مثالية للإرشاد النبوي : « ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ » و« مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى »(١).

ومن ههنا انطلقت حملة دبي العطاء العميقة العظيمة العملاقة لتعليم أطفال الفقراء وتربيتهم ونشر الثقافة العلمية بين الدول التي تخلفت عن الركب العلمي بسبب ظروف مادية حَرِجَة ، فهي فرقد لأقوام لا يهتدون الطريق .

يهل بالفرقد ركبانها   كما يهل الراكب المعتمر

ولا غرو في ذلك فإن راعيها خادم القرآن نائب رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم حفظه الله ورعاه.

وهناك مؤسسات خيرية كثيرة أخرى لشعب الإمارات فردية واجتماعية والحظ الأوفر منها لآل مكتوم ولآل نهيان

أقامت في الرقاب له الأيادي   هي الأطواق والناس الحمام

ولهذا أناخت المؤتمرات الخيرية والعلمية بمحروسة دولة الإمارات العربية المتحدة دبي حماها الله تعالى عن الآفات، بلدة طيبة، ورب غفور .

لقد جُمِعَتْ فيها المحاسن كلها   وأحسنها الإيمان واليمن والأمن

وها هي أرضُ فلسطين والبوسنة والهرسك وأفغانستان الجريح والصومال والمناطق

(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ له .

المنكوبة بباكستان وإيران وتركيا وأفريقيا ليست ببعيدة عنكم، فهذه الشواهد أدل دليل وأعدل شاهد على أن دولة الإمارات خير مثال حي للأمر النبوي كنار على علم .

بارك الله في حكام دولة الإمارات العربية وشعبها ورزقهم بطانة صالحة هذا والبحث مشتمل على تمهيد وثلاث مقدمات ومقصود وخاتمة.

وسميتُ البحث بـــ « **رد الحيران في حكم التصدق على غير المسلمين أهل الأديان** » ولكن اخترت العنوان « **حكم التصدق على غير المسلمين** » .

***

تمهـيد

ليعلـم أن الخلـق عيـال الله كما ورد في الآثـار المرفوعـة والموقوفة وأقوال الفقهـاء كالإمام الشـافعي ابن عم النبي صلى الله عليه وآله وسـلم الذي ملأ البقاع والأسـماع، في الأم والحافظ ابـن كثـير في تفسـيره ، وأن عيال المرء من يعولـه ويقوم برزقه والإنفاق عليه ، وهو بالنسـبة إلى غـيره تعالى مجاز صـورة وإلا فهو الرزاق كما أنه هو الخلاَّق وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[١] .

يعنـي أنه سـبحانه وتعالى أخبر برزق الجميع وأنه لا يغفل عـن تربيته وأن الرزق الذي هو رحمـة دنيويـة يعـم المؤمن والكافـر ولذلك يقال رحمن الدنيـا ورحيم الآخـرة ، ولذلك قال الله تعـالى حـين خص إبراهيم خليـل الرحمن _ على نبينا وعليه الصلاة والسـلام - المؤمنين بالدعاء لهم بالرزق من الثمرات عند بناء البيت ﴿ **قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٢] . ولهذا كتب رسـول الله صلى الله عليه وسـلم إلى ثمامة بن أثال أن يخلي بين كفـار مكـة وبين الحمل حين قطع عنهم الميرة[٣] . فهذا رسـول الله صلى الله عليه وسـلم رد على الحصار والحظر مع أن الكفار قد فرضوا على المسـلمين حظراً وحصاراً من قَبل ولقد صدق الله في وصف حبيبه صلى الله عليه وسـلم : ﴿ **وَمَا أَرْسَـلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾[٤].فالمسـلم يقتدي بـه صلى الله عليه وسـلم ولنا أسـوة حسـنة فيه صلى الله عليه وسـلم وفي إبراهيـم صلى الله عليه وسـلم ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِـيرًا** ﴾[٥]. فـلا عجـب في حصار اليوم على المسـلمين مـن قبل أعداء الإسـلام أولئك الذين تكـن صدورهـم حسـداً وعناداً ولكن لن نترك سـنة رسـول الله صلى الله عليه وسـلم من أجل

(١) هود: ٦ .

(٢) البقرة : ١٢٦ .

(٣) فتح الباري ٨/ ٨٨ .

(٤) الأنبياء: ١٠٧ .

(٥) الأحزاب: ٢١ .

هـؤلاء فهذه شنشـنة عرفت من أسـلافهم ، وأن المـال مال الله ونحن مسـتخلفون فيه ، فيجب علينـا أن نتـصرف فيه حسـب أمر الله ورضاه قال الله تعـالى: ﴿ **آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُـولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُـمْ مُسْـتَخْلَفِينَ فِيـهِ** ﴾ (١). وقـال تعالى : ﴿ **وَمَـا لَكُـمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَـبِيلِ اللهِ وَللهِ مِيرَاثُ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ﴾ (٢). وكـما يجب علينا أن نخرج الحقوق المقـدرة في الأموال من الله تعالى فننفق على خلق الله شـفقة ورحمة كما أمره كما هو مفاد المقدمة الثالثة وهذه الحقوق منقسـمة على قسـمين أساسـيين أحدهما ما أخذه إلى الإمام وهي زكاة الأموال والمواشي وما أخرجته الأرض مـن جميع أنواع الـزروع أي العشر يعني الزكاة والعشر والخراج وجميـع البضائع التجارية فهذه تدفع إلى المسلمين خاصة .

والثـاني ما أخذه ليس إلى الإمام بل كل فيه أمير نفسـه فينفـق كالنذور والكفارات وصدقة الفطـر ولحـوم الأضاحـي والصدقات النفلية عامة فهـذه يجوز دفعها إلى المسـلم وغيره إذا كان مسـالماً ومصالحـاً ومعاهداً أو ذمياً وأما الحربي فيجوز التصـدق عليه بالصدقة النفلية إذا لم يكن فيه تقويتهم على الحرب ولا ضر بالمسلمين .

هـذا، وجعلت كل بـاب مقدمة، وجعلت الرابـع مقصود البحـث، وفي الخاتمة خلاصـة البحث.

هـذا، والحمـد لله رب العالمين، وصـلى الله على رحمة العالمين خاتم النبيين محمد رسـول الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين .

حرره العبد الفقير

أبو محمد شاه جيهان نقاب

عضو لجنة الإفتاء بدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري

(١) الحديد الآية ٧ .

(٢) الحديد الآية ١٠.

المقدمة الأولى

فضل الإنفاق

قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (١) .

في الآية تشبيه الصدقة بالقليل بإصابة الطل والصدقة بالكثير بإصابة الوابل .

﴿ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)﴾ (٣) .

حاصل مفهوم الآيتين التحذير من التسويف بالإنفاق استبعاداً لحلول الأجل واشتغالاً بطول الأمل ، والترغيب في المبادرة بالصدقة قبل هجوم المنية وفوات الأمنية .

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوّه حتى تكون مثل الجبل »(٤) رواه البخاري .

في الحديث حث وترغيب بالإنفاق والتصدق وإن كان بالقليل وفي الحديث : « لا تحقرن

---

(١) البقرة : ٢٥٦ .

(٢) المنافقون .

(٣) البقرة: ٢٥٤ .

(٤) البخاري مع الفتح ٣/ ٢٧٨ .

من المعروف شيئاً »[١] أو كما قال صلى الله عليه وآله وسلم ، والله عز وجل يبارك في القليل كما أشير إليه في آخر الحديث « ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوّه » ولابد من الإخلاص والنية الصادقة ثم إن الطعن في المطوعين والمتصدقين بالقلة أو بغيرها من أخلاق المنافقين فإن الله تعالى قال في سورة التوبة : ﴿ **الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٢].

فحاصل معنى الآية مع بخل المنافقين لا يسلم المتصدقون من أذاهم فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالسمعة والرياء وإذا تصدق الفقراء بما في وسعهم وطاقتهم استهزؤوا بهم وقالوا سخرية منهم : ماذا تجدي صدقتهم والله هذه ، والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها وإن الله تعالى لينظر إلى النيات.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله أي الصدقة أعظم أجرا قال : « أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان كذا »[٣] والمراد بالصحة في الحديث من لم يدخل في مرض مخوف فيتصدق عند انقطاع الأمل من الحياة كما أشار إليه في آخره.

وعن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم قلن: « أينا أسرع بك لحوقاً ؟ قال: « أطولكن يداً » فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يداً فعلمنا أنما كانت طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقاً به وكانت تحب الصدقة »[٤] رواه البخاري.

---

(١) رواه مسلم ، مشكاة ٢/ ٤٧٣ .
(٢) التوبة : ٧٩.
(٣) البخاري مع الفتح ٣/ ٢٨٥ .
(٤) البخاري ٣/ ٢٨٨ .

هذا الحديث تضمن أن الإيثار والاستكثار من الصدقة في زمن القدرة على العمل سبب للحاق بالنبي صلى الله عليه وسلم وذلك الغاية في الفضيلة والمراد بطول اليد كثرة الصدقة .

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول »[١] رواه البخاري . اليد العليا هي يد منفقة ومعطية واليد السفلى هي يد آخذة ومتصدق عليها .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جاء السائل أو طلبت إليه حاجة قال: « اشفعوا تؤجروا » .

وعن أسماء رضي الله عنها قالت قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : « لا توكي فيوكى عليك » [٢] رواه البخاري في هذا الحديث الشريف تحريض على الصدقة والشفاعة.

والصدقة قد تكون علانية والغرض يكون فيها التحريض والتأسي به كي يتصدق الناس فيكون من قبيل « من سنَّ سنة حسنة » الحديث ، ويكون من قبيل « الدال على الخير كفاعله »، فيأخذ أجوراً عند الله مع حسن الثناء عليه في الناس ، ودعائهم له بالخير والبركة مباشرة وسبباً قال تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ [٣]. فهذا المنفق لوجه الله علانية وسراً، له درجات وأجور عند الله مباشرة وسبباً ويكون مأموناً من الخوف والحزن والغم يوم القيامة ـ حين يكون الناس أحاط بهم الخوف والحزن، كل ذلك بفضل الإنفاق في سبيل الله. والآية هذه تشمل جميع أنواع الصدقة من أصحاب الخيل في سبيل الله وغيرهم ، فإن المنفق على الخيل كباسط يده بالصدقة لا يقبضها وأبوالها وأرواثها عند الله يوم القيامة كزكي المسك .

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠٠ .
(٢) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠٠ .
(٣) البقرة: ٢٧٤ .

وقـد تكـون أي الصدقة سراً وقدمت في الآيـة لأن الصدقة النفلية أصلهـا أن تكون سرية بعيدة عن الرياء قريبة من الإخلاص فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسـلم : « ورجـل تصـدق بصدقـة فأخفاها حتى لا تعلم شـماله ما صنعت يمينـه » قال تعالى: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَـا وَتُؤْتُوهَـا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴾(١)، فالسر والإخفاء أفضل من العلانية ولكن العلانيـة في بعـض المواقع أنفع وأفضل لأغـراض صحيحة كما ذكرنا سـابقاً فجازت إذا كانت لوجه الله وكانت النية صافية وخاصة إذا كانت الصدقة النفلية ممن يقتدى به .

ومـن فوائـد الصدقـة تكفير الخطايـا وبوَّب عليـه الإمام البخـاري رحمـه الله وأخرج عن حذيفـة رضي الله عنـه حديثـاً وفي حديثه : « قلت : فتنـة الرجل في أهله وولـده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والمعروف »(٢) رواه البخاري .

ومـن فوائدهـا أنها تزيـد في المال والثواب كما يـدل عليه حديث أبي هريـرة رضي الله عنه : « اللهـم أعـط منفقـاً خلفـاً »(٣) رواه البخاري ، وأنهـا تطفئ غضب الرب كـما ورد في حديث النبـي صـلى الله عليـه وآله وسـلم عن أنـس رضي الله عنه قال : قال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : « إن الصدقـة لتطفـئ غضـب الـرب وتدفـع ميتـة السـوء »(٤) أو كما قال رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسـلم . يعنـي أن الصدقة تمنع من إنـزال المكروه والبـلاء في الحال وتدفع سوء الخاتمة في المآل .

وعلى كل مسـلم صدقة فمن لم يجد فليعمل بالمعروف وبوب عليه الإمام البخاري وأخرج عن أبي موسـى الأشـعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم: « على كل مسـلم صدقـة » فقالـوا: يـا نبي الله فمن لم يجد؟ قال : « يعمل بيده فينفع نفسـه ويتصدق» قالوا: فإن لم

(١) رواه البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠١ .
(٢) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠١ .
(٣) البخاري مع الفتح ٣/ ٣٠٤ .
(٤) الترمذي ، انظر المشكاة ٢/ ٤٧٧ .

يجـد: قـال: « يعين ذا الحاجة الملهـوف » قالوا : فإن لم يجد: قال: « فليعمل بالمعروف وليمسـك عن الشر فإنها له صدقة »[١] رواه البخاري.

وهـذا الحديـث الشريـف يـدل عـلى أن الصدقة في حـق القـادر عليها أفضل مـن الأعمال القاصرة ويدل على أنه لا بد من الشـفقة على الخلق وهي إما بالمال أو غيره والمال إما حاصل أو مكتسـب ، وغير المال إما فعل وهو الإعانة وإما ترك وهو الإمسـاك عن الشر ، هذا ولما ثبت أن الأمـوال لدينـا عواري وأمانـات ، وثمرة الإنفاق ترجـع إلينا تفضلاً منه تعـالى، وأنا مأمورون بالإنفاق من هذه الأموال حسـب رغبة الشـارع وأمره، على الخلق وهم عيال الله تعالى فسنذكر مقدمة ثانية في أن الخلق عيال الله .

* * *

(١) البخاري مع الفتح ج٣ .

المقدمة الثانية
في الخلق عيال الله تعالى

قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ** ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لاَ تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ﴾[٢]. وقال تعالى: ﴿ **وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿ **قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[٤].

يعني لما خلق الله الخلق فتكفل بأرزاقهم جميعاً فيرزق الضب في البيداء والنون في البحر فكيف يخاف الإنسان الفقر والله رازقه ورازق هذا الخلق في العسر واليسر وكيف لا فإن الخلق عيال الله تعالى ومن بينهم الإنسان وهو أشرف المخلوقات في الجملة قال الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا** ﴾[٥].

فالخلق عيال الله وعيال المرء من يعوله ويقوم برزقه وإنفاقه وهو بالنسبة إلى غيره تعالى مجاز وأسلوب صورة وإلا فهو الرزاق كما أنه هو الخلاَّق، ولذا قال علماء أصول الفقه مستنبطين عن الآيات والآثار «إن الصدقة تقع أولاً في كف الرحمن ثم في كف الفقير» كما أشرنا إلى ذلك في مقدمة البحث، وأخبر الله عزوجل عن هذا المعنى في الآية الأولى: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾ يعني أنه سبحانه جل وعلا أخبر برزق الجميع وأنه لا يغفل عن تربيته، فكيف تخفى عليه أحوالكم يا معشر الكفار وهو يرزقكم.

---

(١) هود.

(٢) العنكبوت: ٦٠.

(٣) هود هود القرطبي ٩/ ٧.

(٤) البقرة.

(٥) الإسراء.

ولما خص إبراهيم المؤمنين بالدعاء كيلا يكون أماناً للكفار على كفرهم، على أن المؤمنين والمسلمين هم جزء مهم من أجزاء هذا الشخص الكبير وهو العالم والكون بأسره لأنهم استسلموا لأمر الله تعالى وآمنوا وأسلموا فهم القادة والسادة، فكأنهم يستحقون العيش، لأن الكافر قد تمرد وبغى وكفر بأنعم الله وكذب رسله وأنبياءه فكأنهم لا يستحقون أي عيش لأنهم قد خرجوا على رب الكون وأنت تعرف أيها القاري ما جزاء الخارج والمتمرد على الحاكم؟ فقال الله عز وجل : ﴿ **قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا** ﴾، ﴿ **وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ** ﴾ يعني أن الله عز وجل كما يرزق الدواب والطيور والحيتان والديدان كذلك يرزق الإنسان بالطريق الأولى لأنه أشرف الخلق ، فالإنسان بجنسه ونوعه أشرف والكافر تبع المؤمن بل الكافر دنياه جنة وهي قليلة بالنسبة إلى الآخرة فأغدق عليهم الأموال رجوعاً أو استدراجاً ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعل الله لمن يكفر بالرحمن[١] لبيوتهم سقفاً من فضة قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا** ﴾[٢].

بالجملة فالخلق عيال الله مسلماً كان أو كافراً لذا تكفل الله برزقهم وجعل الأرض كفاتاً أحياءً وأمواتاً ،فجعلت تجود بأمر الله بجميع الخيرات فيأكل كل من هذه المائدة الواسعة فإنه رب العالمين ، وخلقهم ليعبدوه فأرسل الرسل وأنزل الشرائع فمن مات ولم يؤمن فمصيره إلى عذاب النار وبئس المصير ، وأما الدنيا ففيها الحرب سجال ولكن النصرة في نهاية المطاف حليف للحق .

هذا وإليك بعض المرفوعات والموقوفات تدل على أن الخلق عيال الله وهو متكفل برزقهم:

---

(١) القرطبي ٩/ ٧ .

(٢) الزخرف : ٣٣-٣٥ .

– فعن أنس وعبد الله رضي الله عنهما قالا : قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « الخلق عيـال الله فأحـب الخلـق إلى الله من أحسـن إلى عيالـه »[١] رواه البيهقي في شـعب الإيمان . وفي الجامـع الصغـير : « الخلـق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعيالـه »، وقال: رواه أبو يعلى في مسنده، والبزار عن أنس، والطبراني عن ابن مسعود ، وأيضاً أخرجه البخاري في تاريخه .

– وأخرج سـعيد بن منصور في سـننه بإسناده (عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه) عن عبـد الرحمـن بـن أبي ليلى أن رجـلاً أتى عمر بن الخطـاب رضي الله عنه من أهـل المغرب فقال: والله يـا أمـير المؤمنين لتحملنـي فنظر عمر إلى أدناهم إليـه فقال: والله إن كان بك مـا إن تنبِّئني حاجتك دون أن تقسـم عليَّ، وأنا أحلف بالله لا أحملك ، فأظنه قد رددها ثلاثين[٢] أو قريباً من ثلاثـين مـرة ، فقال رجل يقال له عتيك بن بلال الأنصاري أي شيء تريد، ألا ترى أمير المؤمنين قـد حلـف أيمانـاً لا أحصيها أن لا يحملك ، والله إن تريد إلا الـشر ، فقال الرجل : والله إنه لمال الله، والله إني لمن عيال الله ، والله إنك لأمير المؤمنين ولقد أدت بي راحلتي والله إني لابن السبيل أقطـع بي والله لتحملنـي ، فقـال له عمـر والله إن المال لمال الله ، وإنك لمـن عيال الله ، وإني لأمير المؤمنـين وإن كانـت راحلتك أدت بك لا أتركك للتهلكـة، والله لأحملنك فأعادها حتَّى حلف ثلاثـين يمينـاً أو يمنـين ، ثم قال لا أحلف على يمين أبداً فأرى غيرهـا خيراً منها إلا اتبعت خير اليمينين[٣] .

– وأخـرج الطـبراني في الأوسـط قـال حدثنا محمد بـن عثمان بن ابي شـيبة قـال حدثنا أبو صهيب النضر بن سـعيد قال: حدثنا موسـى بن عمير، عن الحكم، عن إبراهيم، عن الأسـود ، عن عبد الله قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم : « الخلق عيال الله فأحب الناس إلى الله من أحسن إلى عياله »[٤] .

(١) رواه البيهقي : انظر المشكاة : ٤/ ٧٠٣ .

(٢) عبـد الرحمـن بن أبي ليلى من كبار التابعين وأختلف في سـماعه عن عمر رضي الله عنه وبعضهم يدخل بينه وبين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كعب بن عجرة والبراء رضي الله عنهما . فليتأمل .

(٣) سنن سعيد بن منصور ٤/ ١٥٦٦–١٥٦٧ ، ط دار صميعي .

(٤) المعجم الأوسط ٥/ ٣٥٦ ، وفيه موسى بن عمير وهو متروك وقال أبو حاتم : ذاهب الحديث كذاب .

– وعـن أنـس بـن مالك رضي الله عنه قال: قال رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: « الخلق عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله » [١] . وعن عبد الله يعني ابن مسـعود رضي الله عنه قال قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم : « الخلق كلهـم عيال الله فأحـب الخلـق إلى الله أنفعهم لعياله » رواه الطبراني في الكبير والأوسط [٢].

وعن ابن عمر أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسـلم فقال: يا رسـول الله أي الناس أحـب إلى الله وأي الأعـمال أحـب إلى الله فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم أحب الناس إلى الله عزوجل أنفعهم للناس[٣]. رواه الطبراني في الثلاثة.

وقـد ثبـت خير الناس أنفعهم للناس . فليعلم أن الله خلق العالم بأسره وقدر بقاءه في علمه إلى حـين مـا، وأن الله خلق الأنس والجن ليعبدوه وحده وجعل العالم مسـخراً لخدمة الإنسـان وبقـاء الخلـق إلى وقت مـا ، لا يمكن بدون شراب وطعام وتنفس وسـكن فتكفـل الله برزقهم جميعـاً ، فرزقهـم من الطيبات وسـقاهم شرابـاً طهوراً ويتنفسـون في هواء طلق نقـي فقال الله عزوجـل : ﴿ **وَمَـا مِـنْ دَابَّـةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْـتَقَرَّهَا وَمُسْـتَوْدَعَهَا** ﴾ [٤]. وقـال الله تعـالى : ﴿ **وَكَأَيِّـنْ مِنْ دَابَّـةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَـا اللهُ يَرْزُقُهَـا** ﴾ [٥]. وبالجملة قد روي هذا الحديـث مـن عدة أوجـه عن أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه يوسـف بـن عطية وهو ضعيف ومـع ضعفـه قال عمرو بن علي كان يهم وما علمتـه كان يكذب وقد كتبت عنه، وقال الفلاس: مـا علمتـه كان يكذب لكنه يهم، وقـال آخرون منكـر الحديث كالإمام البخـاري وغيره، ومن مناكيره الحديث المذكور .

---

(١) رواه أبو يعلى والبزار . مجمع الزوائد ٨/ ١٩١ ، وفيه يوسف بن عطية الصفار ، وهو متروك .

(٢) مجمع الزوائد ٨/ ١٩١ وفيه عمير وهو أبو هارون القرشي متروك وقال أبو حاتم ذاهب الحديث.

(٣) مجمع الزوائد ٨/ ١٩١ وفيه مسكين بن سراج وهو ضعيف.

(٤) هود .

(٥) العنكبوت : ٦٠.

والوجه الثاني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفيه موسى بن عمير وهو ضعيف أيضاً حتى قال أبو حاتم الرازي: ذاهب الحديث كذاب ، والوجه الثالث عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه وفيه بشر بن رافع وفيه كلام .

أما أثر عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عمر رضي الله عنه فاختلف في سماعه عن عمر فمنهم من أثبت وهم كثير ومنهم من نفى ومنهم من توقف بعد ذكر القولين ولم يحكم بجانب ، ومنهم من أدخل بينه وبين عمر البراء وكعب بن عجرة وعبد الرحمن بن أبي ليلى من كبار ثقات التابعين ، أدرك مائة وعشرين نفساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والإمام أبو جعفر الطحاوي ذكر حديثاً في باب وقت صلاة الفجر وفيه سماعه منه والسند المذكور عند الطحاوي صحيح رجاله رجال الصحيحين ما خلا روحاً وهو شيخ الطحاوي والسند المذكور في سنن سعيد بن منصور إلى عبد الرحمن بن أبي ليلى أيضاً صحيح بقي الكلام في سماعه[١] وقد سمعت الكلام فيه، فالحاصل أن الحديث بمجموع طرقه وخاصة حديث أنس وحديث أبي هريرة وأثر ابن أبي ليلى يرتقي من شدة الضعف ويقترب من الحسن فأصبح للحديث أصلٌ قويٌ. ولهذا ذكره الإمام البيهقي في شعب الإيمان ومعلوم من شرطه مطرداً أن لا يأتي بالموضوعات في تأليفاته[٢].

ولما كان الخلق خلق الله وعياله تعالى ، لهذا تكفل الله برزقهم ووعدهم ان يرزقهم فقال تعالى : ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا** ﴾[٣].

وعيال المرء من يعوله ويقوم برزقه وإنفاقه وهو بالنسبة إلى غيره تعالى مجاز صورة وإلا

(١) يقول العبد الضعيف فلا ينبغي الحكم جزماً بالضعف على رواية سنن سعيد بن منصور ولذا لم يذكره محدث الشام الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الضعيفة ، وذكر الأحاديث المرفوعة وحكم عليها بالضعف .

(٢) عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام للإمام الأنور الكشميري .

(٣) هود : ٦ .

فهـو الـرزاق كما أنه هو الخلاق وقد قال الله: ﴿ **وَمَـا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْـتَقَرَّهَا وَمُسْـتَوْدَعَهَا** ﴾ وأراد الله عزوجـل أن يبقى الخلق بنوعـه إلى حين ما وهم عياله تعالى وخلقه فأمرنا أن نحسن إليهم .

لذا أحب الناس إلى الله تعالى من هو أنفعهم وأحسـنهم إلى خلقه تعالى فالله يفرح بإحسـان من أحسـن إلى عياله تعالى وخلقه كما ورد « خير[١] الناس أنفعهم للناس » أو كما قال صلى الله عليه وسـلم، وإطلاق العيال بضرب من الأسـاليب العربية فالله خلقهم وأخرجهم من الليس إلى الأيـس فهـم محتاجـون ومفتقرون في تقررهـم ووجودهم وبقائهم إلى حين مـا إلى الله الحق سـبحانه فمـن هذا القبيل أطلق عليهـم العيال وإلا فهو الله الصمد يعني مسـتغنياً وغنياً كاملاً ومحتاجـاً إليه مطلقاً وما سـواه محتـاج واحتياج وافتقار ومفتقر بحت وهـو لم يلد ولم يولد يعني تعالى الله عن الجنس والمجانسـة والمماثلة والمشـابهة ولم يكن له كفواً أحد يعني أنه تعالى وتقدس وتنـزه عن التكافـؤ والمماثلة فهو الواجب المطلـق الحق القيوم المتصف بالغنـاء المطلق، وجوده ذاتي، نـور، بائن عن الخلق وعن جميع الممكنات فأنّى للممكن والمخلوق تكافؤ وتماثل وتجانس مع الواجب الحق سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً، فالممكن ماهية مفتقرة ومحتاجة في تقررهـا ووجودهـا وبقائها إلى حين ما إلى الفاعل المختار والخلاق وهو الله تعالى وتبارك فهو افتقار واحتياج بحت فالله خلقهم وأخرجهم من الليس إلى الأيس فهم مقهورون تحت القدرة القاهـرة، حينـما أراد الله وجـود الممكن فقـال له كن فيكون وكـذا إعدامه وفنـاؤه وإماتته تحت القـدرة والإرادة والمشـيئة فالممكنـات والمخلوقـات بأسرهـا تحتـاج في الحالتـين إلى الله تعـالى: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ** ﴾[٢].

وبالجملة فقد اتضح مما سـبق أن الخلق عيال الله وأن الله تكفل برزقهم وفيهم مسـلم وغير مسـلم وغنـي وفقير، فأمَر الله عـز وجل الأغنياء بالإنفـاق ورغّبهم فيه كما سـيأتي، وهو أنواعٌ

(١) مرقاة المفاتيح بشرح المشكاة ٤/ ٧٠٣، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (وهذه القطعة صحيحة) .
(٢) الأنعام :١٨ .

منهـا الصدقـات الفرضية كـزكاة الأموال الصامتة والماشـية والمحاصيـل الزراعية وهي تختص بالمؤمنـين كـما سـيأتي في حديث معاذ بن جبل كما سـيأتي في الباب الثالث وهـو مقصود البحث وأما غير ذلك فلك أيها المسلم أن تعطيها المسلم وغير المسلم وخاصة إذا كان جارك .

فعليـك بحقـوق الجار ولـو كان كافراً قال الله تعـالى : ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[١] .

ولهـذا لما خـص إبراهيم الخليـل على نبينا وعليـه الصلاة والسـلام، المؤمنـين بالدعاء لهم بالـرزق مـن الثمرات عند بناء البيـت قال الله تعالى حاكيـاً عن إبراهيم الخليل عـلى نبينا وعليه الصلاة والسـلام ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ** ﴾[٢] .

قـال ابـن عبـاس دعـا إبراهيم عليه السـلام لمـن آمن مـن دون النـاس خاصـة فأعلم الله عز وجل أنه يرزق من كفر كما يرزق من آمن وأنه يمتعه قليلاً ثم يضطره إلى عذاب النار[٣] .

يعنـي أنهم مخلوقوه وعياله فهو متكفل برزقهم حيث قال الله عز وجل عقب دعاء إبراهيم عليـه السـلام للمؤمنين خاصـة: ﴿ **وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُـهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَـرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّـارِ وَبِئْسَ الْمَصِـيرُ** ﴾ يـدل عليه قوله تعالى: ﴿ **كُلًّا نُمِدُّ هَـؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّـكَ** ﴾[٤] . ويدل عليه قوله تعالى : ﴿ **وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ** ﴾[٥] .

فائـدة خص إبراهيـم المؤمنين بالدعاء لأن الله عز وجل لما أخـبره بأنه جاعله للناس إماماً

---

(١) المائدة : ٨ .

(٢) البقرة : ١٢٦ . القرطبي ٢/ ١١٩-١٢٠ .

(٣) القرطبي ٢/ ١١٩-١٢٠ .

(٤) الإسراء : ٢٠ .

(٥) هود : ٤٨ .

وقدوة بعد إتمامه ما ابتلاه ربه به من كلمات فقال: ﴿ ومن ذريتي ﴾ يعني رب اجعل أئمة من ذريتي أيضاً فقال الله عز وجل: ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (١) . فلما قال الله له ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي ﴾ فقال إبراهيم عليه السلام في الدعاء ﴿ وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ أدباً لأنه كان في مقام الخلة، ولهذا كان عنده انقياد مطلق لله تعالى واستسلام بحت له تعالى، لذا لم يسأل الحكمة ولم يتردد حين أمر بذبح فلذة كبده وبالاختتان حين كان عمره ثمانين وبإسكان أهله وولده الرضيع بوادٍ غير ذي زرع، فلهذا لم يعمم في دعاء الرزق والإ فإبراهيم عليه السلام كان كريماً جواداً وأول من ضيف وكان لا يأكل حتى يبحث عن ضيف ويأتي به فهذه المراتب والأذواق ومن لم يذق لم يدر ، ولهذا قال خويز منداد من المالكية: وكل من كان ظالماً لم يكن نبياً ولا خليفة ولا حاكماً ولا مفتياً ولا إمام صلاة ولا يقبل منه ما يرويه عن صاحب الشريعة ولا تقبل شهادته في الأحكام غير أنه لا يعزل بفسقه حتى يعزله أهل الحل والعقد(٢).

قال محمد بن إسحاق لما عزل إبراهيم عليه السلام الدعوة عمن أبى الله أن يجعل له الولاية انقطاعاً إلى الله ومحبته وفراقاً لمن خالف أمره وإن كانوا من ذريته حين عرف أنه كائن منهم ظالم لا ينال له عهد بخبر الله له بذلك قال الله : (ومن كفر فإني أرزق البر والفاجر وأمتعه قليلاً) وقال حاتم بن إسماعيل عن حميد الخراط عن عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ﴿ رب اجعل ﴾ الآية قال ابن عباس كان إبراهيم يحجرها على المؤمنين دون الناس فأنزل الله ومن كفر أيضاً أرزقهم كما أرزق المؤمنين أأخلق خلقاً لا أرزقهم ؟ أمتعهم قليلاً ثم أضطرهم إلى عذاب النار(٣).

وقال العلامة المحدث الفقيه القاضي ثناء الله الفاني فتي في تفسيره المظهري (خص

(١) البقرة : ١٢٤ .
(٢) تفسير القرطبي ٢/ ١٠٩.
(٣) ابن كثير ج ١.

المؤمنين بالدعاء كيلا يكون أماناً للكفار على كفرهم) قال الله تعالى ﴿ **قال ومن كفر**﴾ عطف على من آمن والمعنى: وأرزق من كفر[١].

وتم الكلام وفيه تنبيه على أن الرزق الذي هو رحمة دنيوية يعم المؤمن والكافر، ولذلك يقال: رحمن الدنيا ورحيم الآخرة بخلاف النبوة وكونه مطاعاً في الدين أو يكون من كفر مبتدأ تضمن معنى الشرط خبره فأمتعه « قليلاً » أي متاعاً قليلاً فان متاع الدنيا قليل بالنسبة إلى متاع الآخرة أو قليل رتبة عند الله تعالى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » رواه الترمذي وصححه ، أو في زمان قليل إلى مدة أجالهم فإن قيل الكفر لا يكون سبباً للتمتع فكيف أدخل الفاء على خبره أجيب بأنه سبب لتقليل التمتع حيث يجعل نعماء الدنيا مقصورة على حظوظها العاجلة ويمنع كونها وسائل لنيل درجات الآخرة بخلاف المؤمن فإن ما أنعم الله عليه في الدنيا لأجل شكره وصرفه في مرضات ربه سبب لنيل درجات الآخرة المؤبدة وهناك جواب آخر تركناه خوف الإطناب .

وقال الحافظ ابن كثير في سورة الأنفال[٢]. في تفسير قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ ينبه الله بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوؤها وركوعها وسجودها وقال مقاتل إقامتها المحافظة على مواقيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، هذا إقامتها والإنفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة ووسائل الحقوق للعباد من واجب ومستحبٍ، والخلق كلهم عيال الله فأحبهم إلى الله أنفعهم لخلقه قال قتادة في قوله تعالى ﴿ **وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ فأنفقوا مما رزقكم الله فإنما هذه الأموال عوارٍ وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها . هذا ولما ثبت أن الخلق عيال الله فوجب الرحمة والشفقة عليهم فنذكر مقدمة ثالثةً في الرحمة العامة والشفقة الشاملة لجميع الخلق .

---

(١) المظهري ١٤٥-١٤٦.

(٢) مختصر ابن كثير ٢/ ٨٥.

المقدمة الثالثة

في الشفقة والرحمة على الخلق

ولما كان الخلق عيال الله فجاء الترغيب في الشفقة والرحمة عليهم والأمر بهما في صحاح الحديث وحسانها وجاء الزجر والنهي عن القسوة عليهم وعن إفسادهم فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلم غرس غرساً فأكل منه إنسان أو دابة إلا كان له صدقه »[١]. وفي رواية: « طير أو بهيمة ».

جاء في الحديث النبوي « ما من مسلم » ليخرج الكافر لأنه رتب على ذلك كون ما أُكِلَ منه يكون صدقة والمراد بالصدقة الثواب في الآخرة وذلك يختص بالمسلم ، نعم ما أكل من زرع الكافر يثاب عليه في الدنيا كما ثبت من حديث أنس رضي الله عنه عند مسلم هذا ولا يبعد أن يقع شيء من التخفيف عنه من عذاب الآخرة لمن لم يرزق برِّه ونفقته في الدنيا وفقد العافية هذا وفي الحقيقة فوض تعمير الكون وعمارة الدنيا إلى الإنسان المسلم المؤمن فإنه هو النافع وهو المصلح وهو الصالح الولي قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** ﴾[٢]. وقال عز وجل ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾[٣]. وما دام المسلم موجوداً ويذكر الله فتكون الدنيا عامرة ومتى انقطع ذكر الله وبقي شرار الخلق ولم يبق أحد ، يذكر الله فيأتي الله بالقيامة فإن ذكر الله وتوحيده تعالى روح العالم وأما الكافر فهو في الحقيقة مفسد ميت والله لا يحب الفساد فهو يعيش بالتبع فإن الله يمهل ولا يهمل هذا وفي الحديث فضل الغرس والزرع والحض على عمارة الأرض واتخاذ الضيعة والقيام عليها وفيه فساد قول من أنكر ذلك من المتزهدة (أي المستصوفة اليوم).

ويدل الحديث على أن أي مسلم كان حراً أو عبداً مطيعاً أو عاصياً يعمل أي عمل من

---

(١) البخاري مع الفتح ٣/ ٤٣٨ .

(٢) البقرة فتح الباري ٥/ ٤ .

(٣) الأنبياء : ١٠٥ .

المباح ينتفع بما عمله أي حيوان كان يرجع نفعه إليه ويثاب عليه، وفيه التنويه بقدر المؤمن وأنه يحصل له الأجر وإن لم يقصد إليه عيناً وفيه الترغيب في التصرف على لسان المعلم ، والحض على التزام طريق المصلحين ، والإرشاد إلى ترك المقاصد الفاسدة والترغيب في المقاصد الصالحة الداعية إلى تكثير الثواب، وأن تعاطي الأسباب التي اقتضتها الحكمة الربانية من عمارة هذه الدار لا ينافي العبادة ولا طريق الزهد ولا التوكل وفيه التحريض على تعلم السنة ليعلم المرء ماله من الخير، وفيه إشارة إلى أن المرء قد يصل إليه من الشر ما لم يعمل فيه ولا قصد إليه فيحذر من ذلك لأنه ما جاز حصول هذا الخير بهذا الطريق جاز حصول مقابله[١].

وعن جرير بن عبد الله[٢] عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من لا يرحم لا يرحم » ، وفي رواية لمسلم: « من لا يرحم في الأرض لا يرحمه الله »، وهو عند الطبراني بلفظ: « من لا يرحم في الأرض لا يرحمه من في السماء »، وله من حديث ابن مسعود رفعه: « ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء »، وعند الطبراني في الأوسط: « من لم يرحم المسلمين لم يرحمه الله ».

قال ابن بطال [٣] في هذا الحديث الحض على استعمال الرحمة لجميع الخلق فيدخل المؤمن والكافر والبهائم، المملوك منها وغير المملوك ، وذِكْرُ المسلم والمؤمن بالأصالة وأما الكافر فيدخل في عموم الناس بالتبع وبالعرض كما أسلفنا سابقاً وعن ابن مسعود[٤] رضي الله عنه رفعه « لن تؤمنوا حتى ترحموا » قالوا: كلنا رحيم يا رسول الله، قال: « إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه ولكنها رحمة الناس العامة » أخرجه الطبراني ورجاله ثقات .

وأشار الإمام البخاري إلى هذا الحديث في ترجمة الباب باب رحمة الناس والبهائم ، ففي

(١) فتح الباري ٣/ ٤٤٠.
(٢) البخاري مع الفتح ١٠/ ٤٣٨ .
(٣) فتح الباري ١٠/ ٤٤٠.
(٤) فتح الباري ١٠/ ٤٣٩.

الحديث إرشاد وأمر برحمتنا جميعاً الناس والبهائم، والناس يدخل فيهم الصالح والطالح والمؤمن والكافر .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي فنزل البئر فنزل فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له » قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجراً فقال : « في كل ذات كبد رطبة أجر »، رواه البخاري[١] .

ويدخل في هذا الحديث جميع الخلق والدواب، فنحن الأمة المسلمة أمة رحيمة راحمة مرحومة وأرسل إلينا والناس أجمعين ، نبي الرحمة رحمة للعالمين ، فأمرنا برحمة الخلائق أجمعين من الأنس والجن والدواب والنباتات وغيرها وأرشدنا إلى رحمة مناسبة بكل واحد من الكائنات الحية النافعة وانظر إلى هذا الرجل الذي رحم الكلب فغفر الله له وشكر له فما بالك إذا رحمتَ الناس وخاصة المسلمين المنكوبين وانظر إلى المراة التي دخلت النار في هرة ، فما بالك إذا آذيت الناس ، ثم إذا كان جارك كافراً فله حق الجوار، وإذا كان مسلماً فله[٢] حقان حق الجوار وحق الإسلام وإذا كان مسلماً ذا رحم فله ثلاثة حقوق حق الجوار وحق الإسلام وحق الرحم ، وإذا كان كافراً ذا رحم فله حقان حق الجوار وحق الرحم، وهذا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أمر لما ذُبِحَتْ له شاة أن يهدى منها لجاره اليهودي أخرجه البخاري في الأدب المفرد والترمذي وحسنه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت أبا القاسم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم يقول « لا تنزع إلا من شقي » رواه أحمد والترمذي وقال حديث حسن[٣].

(١) البخاري مع فتح ١٠/ ٤٣٨ .
(٢) فتح الباري ١٠ .
(٣) مشكاة المصابيح ٤/ ٧٠٢.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما [١] قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » رواه أبو داود والترمذي، وقال الترمذي: حسن صحيح .

قال العلامة الطيبي [٢]. شارح المشكاة في شرح هذا الحديث: أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهم والوحوش والطير ،اهـ

هذا، وفيما ذكرنا لإثبات الشفقة والرحمة على الخلق من الأحاديث والآثار كفاية .

وهذا آوان الشروع في المقصود وهو حكم التصدق على غير المسلمين أهل الأديان كلها .

* * *

(١) مرقاة شرح المشكاة ٤/ ٧٠٢.

(٢) مرقاة شرح المشكاة ٤/ ٧٠٢.

مطلب
في حكم التصدق والإنفاق
على غير المسلمين أهل الأديان كلها

ولما ثبت في المقدمات السابقة أن المال مال الله ونحن مستخلفون فيه وكاسبون فنتصرف فيه حسب رغبة الشارع ورضاه وأمره وأن الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لهم وأن الرحمة والشفقة عليهم واجبة فطرةً وشرعاً وكان القلب يشمئز من مساعدة غير المسلم لأسباب ترجع إلى غير المسلمين فذكرت في هذا المطلب وهو مقصود البحث بيان حكم الإنفاق والتصدق على غير المسلمين أهل الأديان كلها مع أنواع النفقة الجائزة وغير الجائزة مع ذكر أقوال الفقهاء فنقول وبالله التوفيق :

قال الله عزوجل : ﴿ **لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ** ﴾ (١) . وقوله عزوجل : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ (٢) .

قال الجصاص (٣) : ما تقدم في هذا الخطاب وما جاء في نسقه يدل على أن قوله تعالى: ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ إنما معناه في الصدقة عليهم لأنه ابتدأ الخطاب بقوله تعالى : ﴿ **إن تبدو الصدقات** ﴾ ثم عطف عليه قوله تعالى: ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ ثم عقب ذلك بقوله: ﴿ **وما تنفقوا من خير فلأنفسكم** ﴾ فدل ما تقدم من الخطاب في ذلك وما تأخر عنه من ذكر الصدقة أن المراد إباحة الصدقة عليهم وإن لم يكونوا على دين الإسلام . وقد روي ذلك عن جماعة من السلف .

---

(١) البقرة : ٢٧١ .

(٢) الممتحنة : ٨.

(٣) أحكام القرآن للجصاص ١/ ٤٦١ .

ومن ذلك ما روى ابن أبي حاتم [(١)] من طريق أشعث بن إسحاق عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بأن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزلت هذه الآية ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ إلى آخر الآية فأمر بالصدقة بعدها على كل من سألك من كل دين ، وذكر ابن أبي شيبة مرسلاً عن سعيد بن جبير وابن الحنفية.

وعلى هذا حاصل الآية لا يجب [(٢)] عليك أن تجعل الناس مهديين حيث تمنعهم من الصدقة ليدخلوا في الإسلام لحاجة منهم إليهم.

وذكر البغوي قول الكلبي في سبب النزول أن أناساً من المسلمين كانت لهم قرابة وأصهار في اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفقوا عليهم وأرادوهم على أن يسلموا فأنزل الله ﴿ **ليس عليكم هداهم وكن الله يهدي من يشاء** ﴾ أي يجعل مهدياً من يشاء فإن الهداية من الله تعالى وبمشيئته : ﴿ **وما تنفقوا من خير** ﴾ من نفقة معروفة أو المال ﴿ **فلأنفسكم** ﴾ يعني يعود نفعها إليكم فلا تمنوا به على الفقير ﴿ **وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله** ﴾ يعني ليس نفقتكم أيها المؤمنون إلا ابتغاء وجه الله فما لكم تمنون بها على الفقير، ففي الآية إيراد دليل بعد دليل على قبح المن والأذى، هذا وروى النسائي من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يكرهون أن يرضخوا لأنسابهم من المشركين فسألوا فرخص لهم فنزلت هذه الآية ، وهذا رواه أبو حذيفة وابن المبارك وأبو أحمد الزبيري وأبو داود الحضرمي عن سفيان وهو الثوري وروى الحجاج عن سالم المكي عن ابن الحنفية قال (كره الناس أن يتصدقوا على المشركين فأنزل الله تعالى : ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ فتصدق الناس عليهم من غير الفريضة) [(٣)].

---

(١) ابن كثير ١/ ٣٢.

(٢) تفسير المظهري ١/ ٤٢٦-٤٢٧ .

(٣) أحكام القرآن للمحدث العثماني (وفيه أثر عن ابن عباس هذا صححه الحاكم وذكره الضياء في المختارة، ٢/ ٦٥٥.

قـال الجصـاص : لا نـدري هذا من كلام مَن هـو ؟ أعني قوله فتصـدق الناس عليهم من غير الفريضة . انتهى

قـال العلامـة المحـدث العثـماني صاحب الإعـلاء في أحكام القـرآن: قلت: مـن كلام ابن الحنفية في الظاهر ما لم يثبت الإدارج .

قـال: وأيضـاً قوله فتصدق الناس عليهـم من غير الفريضة لا يوجـب تخصيص الآية لأن فعلهـم لا يقتـضي الوجـوب قـال ونظـير هـذه الآيـة دلالتهـا على مـا دلت عليـه قولـه تعالى: ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسـكيناً ويتيماً وأسـيرا** ﴾ فروى عن الحسـن هم الأسرى من أهل الشرك وهو الأظهر لأن الأسـير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركاً، ونظيرها أيضاً قوله تعالى: ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِـمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِـطِينَ** ﴾ فأباح برهم وإن كانوا مشركـين إذا لم يكونوا أهل الحرب لنا ، والصدقـات مـن البر فاقتـضى جواز دفعهـا إليهم وظواهر هـذه الآية توجب جواز دفع سـائر الصدقات إليهم إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم قد خص منها الزكاة وصدقات المواشي وكل مـا كان أخـذه إلى الإمام بقوله : « أمرت أن آخـذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم »، وقـال لمعـاذ: « علمهـم أن الله فـرض عليهـم حقـاً في أموالهـم يؤخـذ مـن أغنياهم ويـرد على فقرائهـم » والضمير للمسـلمين اتفاقاً، وحديث معاذ أخرجه الأئمـة في الصحاح وتلقاه الأمة بالقبـول فهـو في حيـز التواتـر، فكانت الصدقـات التي أخذهـا إلى الإمام مخصوصـة من هذه الجملـة، وكل صدقـة ليـس أخذهـا إلى الإمام يجـوز اعطاؤهـا أهل الذمـة فلذلك قـال الإمام الأعظـم التابعـي أبو حنيفة: كل صدقة ليس أخذها إلى الإمام فجائز إعطاؤها أهل الذمة ، وما كان أخذهـا إلى الإمـام لا يعطى أهل الذمة، فعلى هذا يجوز إعطاء الكفارات والنذور والصدقة أهل الذمة هذا والمسلمون أولى بالمعروف.

فـإن قيل: فـزكاة المال ليس أخذها إلى الإمام ولا يجوز أن تعطـى أهل الذمة قلنا أخذها في

الأصل إلى الإمام، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذها، وكذلك أبو بكر وعمر فلما كان عثمان قال للناس: إن هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليؤده ثم يتزك بقية ماله، فجعل أرباب الأموال وكلاء له في أدائها، ولم يسقط في ذلك حق الإمام في أخذها.

هذا، ولا يجوز دفع الصدقة الواجبة إلى الكفار عند الإمام أبي يوسف مطلقاً، وهو المفتى به، وقال أبو يوسف: كل صدقة واجبة فغير جائز دفعها إلى الكفار قياساً على الزكاة قاله الجصاص (١).

قال العبد الفقير: والمتون كلها على مذهب الإمام الهمام وهو الراجح عند العلامة الفقيه الشامي وبه نأخذ.

هذا، وقال ابن عربي: قال علماؤنا: لا تصرف إليهم صدقة الفرض، وإنما ذلك في التطوع لقوله صلى الله عليه وسلم: « أمرت أن أخذ الصدقة من أغنيائكم وأردها على فقرائكم ».

وقال أبو حنيفة: تصرف إليهم صدقة الفطر لحديث يروى عن ابن مسعود أنه يعطى الرهبان صدقة الفطر، وهذا حديث ضعيف لا أصل له.

قلت: الحديث غير وارد على الأحناف، بل الإمام الهمام أبو حنيفة أخذ بالحديث وجعله أصلاً في باب الصدقات وفرع عليه واستنبط منه جزئيات وفرعيات كثيرة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، وصدقة الفطر ليست فريضة، وإنما هي واجبة، فإدخال ابن عربي صدقة الفطر في الفريضة القطعية وهي الزكاة استعجال منه وذهول عن الفرق الدقيق بين الوجوب والفرض القطعي عند الأحناف فيقال له: اثبت العرش ثم انقش، وأصبح دليله جدلياً فإنه مبني على مسلمات ابن عربي، ونقول في الجواب عن أصل إيراده: لم يكن الإمام أبو حنيفة ليحتج بضعيف لا أصل له، بل احتجاجه بحديث تصحيح له، وهو يروي جل أحاديث ابن مسعود عن حماد بن أبي سليمان عن إبراهيم عن أخواله علقمة وغيره عنه، وهذا كما ترى سلسلة

(١)- أحكام القرآن ١/ ٤١٢.

الفقهاء الثقات الأثبات، وأيضاً فليس حديث ابن مسعود هذا هو المعمول عليه للاحتجاج في هذا الباب، وأصل الاحتجاج إنما هو بظواهر الآي التي تلوناها وذكرناها، ولا ريب أنها توجب جواز دفع سائر الصدقات إليهم، ولولا حديث معاذ رضي الله عنه لقلنا بالجواز في الزكاة أيضاً، وحديث معاذ رضي الله عنه إنما خص منها ما أُمر الإمام بأخذه من الصدقات دون ما سواه فبقيت صدقة الفطر والكفارات والنذور ونحوها داخلة تحت العموم لكون الإمام لم يؤمر بأخذها .

هذا، وفي الدر المختار: وجاز دفع غيرها وغير العشر والخراج إلى الذمي هذا ولو واجباً كنذر وكفارة وفطرة خلافاً للثاني يعني أبا يوسف وبقوله يفتى، ولكن قال خاتمة المحققين ابن عابدين الشامي رحمه الله في حاشيته رد المحتار: قلنا: لكن كلام الهداية وغيره يفيد ترجيح قولهما الإمام أبي حنيفة ومحمد وعليه المتون، فهذا ترجيح قول الإمام أبي حنيفة ومحمد من محقق فقيه بحاثة محدث .

والمتون متقدمة على الشروح، ولكن المحدث العثماني[1] في أحكام القرآن مال إلى قول الإمام أبي يوسف، وبالجملة الصدقات التي أخذها إلى الإمام لا يجوز دفعها إلى غير المسلمين وهي زكاة الأموال والعشر والخراج وزكاة المواشي والبضائع التجارية بجميع أنواعها فهذه أربعة من أنواع الصدقات لا يجوز دفعها إلى غير المسلمين، وأما بقية الصدقات الأخرى كصدقة الفطر والنذور والكفارات والتطوع فهذه يجوز دفعها إلى غير المسلمين أيضاً، ولكن فقراء المسلمين أولى وأحق وأقدم. هذا ويجوز دفع الصدقات المذكور إلى غير المسلمين .

إذا لم يكونوا من أهل الحرب ولم يك في دفعها إليهم تقويتهم في أمور الحرب ومضرة بالمسلمين ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [2] .

(١) أحكام القرآن ٢/ ٦٥٦-٦٥٧-٦٥٨.

(٢) الممتحنة : ٦.

وقد أخرج الإمام البخاري عن أسماء بنت أبي بكر قالت: أتتني أمي راغبة فسألت النبي صلى الله عليه وسلم أأصلها ؟ قال نعم ، فأنزل الله : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ** ﴾ الآية .

وأخرج أحمد والبزار والحاكم وصححه عن عبد الله بن الزبير قال قدمت قتيلة بنت عبد العزى على ابنتها أسماء بنت أبي بكر وكان أبو بكر طلقها في الجاهلية فقدمت هدايا فأبت أسماء أن تقبل منها أو تدخلها منزلها حتى أرسلت إلى عائشة أن سلي عن هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فأنزل الله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ** ﴾ الآية ، فأمرها أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها [١] .

والمنهي عنه إنما هو موالاة أهل الحرب ، دون مبرتهم في غير آية بشرط أن لا يضر بالمسلمين ، وقد قال الله تعالى في الأسارى من أهل الحرب: ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ﴾ [٢] . والمن نوع من البر فعلى هذا يجوز دفع الصدقة النافلة لأهل الحرب أيضاً إن لم يكن في ذلك تقويتهم على الحرب ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « في الكبد الحارة أجر » رواه البيهقي بسند صحيح وروى أحمد بسند صحيح بلفظ : « في كل ذات كبد حرى أجر » أما دفع الزكاة إلى غير المسلمين فلا يجوز إجماعاً. وسند الإجماع حديث معاذ وقد مر ذكره .

قال صاحب الهداية: ولا يجوز أن يدفع الزكاة إلى ذمي لقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذها من أغنيائهم وردها في فقرائهم ويدفع إليه ما سوى ذلك من الصدقة [٣] .

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: لا يدفع، وهو رواية عن أبي يوسف اعتباراً بالزكاة ولنا قوله عليه السلام : « تصدقوا على أهل الأديان كلها » ولولا حديث معاذ لقلنا بالجواز في

(١) تفسير المظهري ٩/ ٢٥٣ الدر المنثور، وقريب من هذا ذكره القرطبي ١٨/ ٥٩ .
(٢) محمد : ٤ .
(٣) الهداية ١/ ٢٢٢ .

الزكاة قال العيني لإطلاق الآية قال الحافظ ابن حجر في الدراية[١] رواه ابن أبي شيبة من رواية سعيد بن جبير رفعه : « لا تصدقوا إلا على أهل دينكم » فنزلت: ﴿ **ليس عليك هداهم** ﴾ فقال: « تصدقوا على أهل الأديان »، ومن طريق محمد ابن الحنفية نحوه، ولابن أبي زنجويه في الأموال عن سعيد بن المسيب أن النبي صلى الله عليه وسلم تصدق على أهل بيت من اليهود، وهذه مراسيل يشد بعضها بعضاً . اهـ

يقول الباحث: المراسيل حجة عندنا وعند الجمهور، خلافاً للشافعية مع تفصيل عندهم، وكذا أخرج هذه الآثار الحافظ الزيلعي في نصب الراية[٢].

وقال العلامة العمراني رحمه الله: لا يجوز دفع الزكاة إلى كافر، وروي ذلك عن عمر، وقال الزهري وابن سيرين يجوز، وقال أبو حنيفة يجوز صرف زكاة الفطر خاصة إلى أهل الذمة ، وأما صدقة التطوع فقال الصيمري: ولا بأس بصدقة التطوع على المسلم والكافر والذمي والحربي وإن كان يستحب أن يخص بها خيار الناس[٣].

وقال ابن قدامة : لا يجوز دفع صدقة الفطر إلى غير المسلمين ويجوز دفع الصدقات النفلية مستدلاً بقوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا** ﴾[٤]. ولم يكن الأسير يومئذٍ إلا كافراً[٥].

وقال ابن قدامة : وصدقة الفطر لا يجوز دفعها إلى غير المسلمين إلا عند أبي حنيفة، وكان عمرو بن ميمون وعمرو بن شرحبيل ، ومرة الهمذاني أنهم كانوا يعطون منها الرهبان[٦].

---

(١) الدراية على هامش الهداية ١/ ٢٢٢ .
(٢) نصب الراية ٢/ ٣٩٨.
(٣) البيان ٣/ ٤٥٢ .
(٤) الإنسان : ٧ .
(٥) المغني ٢/ ٧١٢ .
(٦) المغني ٢/ ٦٦٧ .

وأما المؤلفة قلوبهم إنما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه انقطعت، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد أتاه عيينة بن حصين : ﴿ **الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾ يعني ليس اليوم مؤلفة وذكر ابن الجوزي[١] في التحقيق مستدلًا لمذهب الأحناف على سقوط المؤلفة بحديث معاذ قال: وهذا محمول على أنه قال في وقت غير محتاج إلى التأليف، وأما غير الأحناف فهم قالوا بسهم المؤلفة قلوبهم كما هو مذهب الإمام أحمد وهو المشهور عند أصحابه وقريب من هذا مذهب السادة الشافعية ذكرت هذه المسئلة دعماً لجواز التصدق على غير المسلمين ، فإذا جاز عندهم دفع الزكاة إلى الكفار تأليفاً فلمَ لا يجوز دفع الصدقات الواجبة الأخرى إليهم تأليفاً ؟! .

***

(١) نصب الراية : ٢/ ٣٩٤.

خاتمة البحث

لا شك أن فقراء المسلمين ومن نزلت بهم النوازل أولى وأحق بالنفقة والصدقة بجميع أنواعها وأما غير المسلمين أهل الأديان كلها فيجوز دفع الصدقات النفلية والواجبة كصدقة الفطر والنذر والكفارات للذمي والمسالم مطلقاً وأما أهل الحرب فيجوز دفع الصدقة النفلية إذا لم يضر بالمسلمين ولم يكن فيه تقويتهم على الحرب ، وأما الصدقات التى أخذها إلى الإمام وهي الفريضة القطعية وهي زكاة الأموال يعني النقدين والبضائع التجارية وما يقوم مقامها والماشية والعشر والخراج فهذه تصرف إلى المسلمين خاصةً وأن تكون الصدقات لوجه الله لا تستغل حاجتهم إلينا كما يفعل غير المسلمين في فقرائنا المسلمين .

ولقد قال الله تعالى: ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى** ﴾ الآية وأن الخلق عيال الله فوجبت الرحمة والشفقة وأن المال مال الله فيكون صرفه لرضاه حسب رغبته وأمره لوجهه تعالى .

هذا، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على خاتم النبيين رحمة الله للعالمين وعلى آله وأصحابه المهديين، والمنفقين سراً وعلانية، والمستغفرين بالأسحار، والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين [1].

* * *

---

(١) فرغت من تحريره يوم الثلاثاء صباحاً ٣٠/ ١١/ ١٤٢٨هـ .

المراجـع

- القرآن الكريم.

١- أحكام القرآن للجصاص، دار الكتاب العربي - بيروت.

٢- البخاري .

٣- مسند أحمد، دار سحنون، تونس

٤- فتح الباري لابن حجر العسقلاني : رئاسة إدارة الإرشاد والبحوث المملكة العربية السعودية بتحقيق العلامة الشيخ بن باز رحمه الله .

٥- عمدة القاري للعيني، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٦- مشكاة المصابيح مع مرقاة المفاتيح.

٧- مرقاة المفاتيح لعلي بن سلطان القارئ دار إحياء التراث بيروت.

٨- عقيدة الإسلام في حياة عيسى عليه السلام .

٩- الهداية شرح البداية للمرغيناني والمجلس العلمي بكراتشي.

١٠- نصب الراية للزيلعي، تحقيق محمد عوامة، بيروت.

١١- معراج الدراية لابن حجر العسقلاني، المجلس العلمي بكراتشي.

١٢- الدر المختار مع رد المحتار .

١٣- رد المحتار لابن عابدين، دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤- أحكام القرآن للعثماني، إدارة القرآن الكريم و العلوم الإسلامية بكراتشي.

١٥- تفسير المظهري : دار إحياء التراث العربي .

١٦- تفسير ابن كثير دار إحيا التراث العربي - بيروت.

١٧- الدر المنثور للسيوطي.

١٨- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، دار المعارف - الرياض.

١٩- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية - بيرو ت.

٢٠- ميزان الاعتدال للذهبي، دار المعرفة - بيروت.

٢١- سنن سعيد بن منصور - دار الصميعي - الرياض.

* * *

